جامعة الانبار/ كلية التربية للبنات

قسم التاريخ/ تاريخ العراق الحديث / المرحلة الثالثة

المحاضرة الثانية .

مدرس المادة : / .م. سهاد جاسم محمد

الحكم الجلائـــــــــري

يمثل الجلائريون القوة المحتلة الثانية للعراق بعد الغزو المغولي وهم ليسوا قوة منفصلة بل جزء من المغول، فبعد وفاة اخر الاباطرة المغول الايلخان ابو سعيد بهادر خان (محمد خدا بنده بن ارغون بن اباقا بن هولاكو ١٣١٧-١٣٣٦م) بلا وريث اضطربت احوال الامبراطورية المغولية الايلخانية وبرزت الى السطح الصراعات بين الامراء الطامحين الى السلطة والاستقلال وهيمن كل امير على ماتحت يدةهمن اراضي وممتلكات و ، ووسط هذا الصراع اصبح العراق وجزء من ديار بكرمن نصيب الامير حسن بن حسين بن اقبوغا الجلائري الملقب (حسن بزرك اي الكبير) الذي يعتبر مؤسس الحكم الجلائري او الدولة الجلائرية أي ان الحكم الجلائري في العراق قد جاء وفق الامر الواقع نتيجة لتقاسم اقاليم الامبراطورية المغولية كون حسن بزرك المتولي على العراق .

الجلائـــــريــون:-

اختلف الباحثون حول اصل الجلائريين هل هم من الترك ام من المغول والغموض حول هذا الامر يعود الى عدم وجود نصوص تاريخية موثوقة حول الموضوع ، ونتيجة لذلك يجمع اغلب المؤرخون ان حسن جلائر حفيد الامبراطور ارغون بن اباقا بن هولاكو (١٢٨٤-١٢٩١م)عن طريق والدته ويبدو ان هذه القربى هي من مهدت الطريق له للوصول الى السلطة بعد ان اثبت الامراء الجلائريون كفاءتهم العسكرية والادارية في ادارة الامبراطورية المغولية جعلتهم يحتلون مناصب عليا ومتقدمة في الدولة بل كانت الطريق لمصاهرة المغول

بعد الوثوق منهم اذ كانت بداية علاقة الجلائريون بالمغول انهم رعاة وخدم وجنود لدى المغول وبمرور الزمن تطورت الى مصاهرة ووثوق .

كان حسن جلائر قبل وفاة السلطان ابي سعيد حاكما على بلاد الروم وتمكن من الزحف على بغداد والسيطرة عليها واعلان استقلاقه فيها رسميا سنة ٧٤٠هـ /١٣٣٩م وخلال فترة حكمه التي استمرت ١٧ سنة تمكن من اخماد الحركات المناوئة له والامراء المنافسين وثبت اركان دولته لهذا لم تشهد بغداد اعمال عمرانية كبيرة سوى فترة الهدوء والاستقرار في عهده وتوفي سنة ٧٥٧هـ/ ١٣٥٦م وجاء من بعده ابنه اويس ليتولى حكم بغداد وتعرضت بغداد الى فيضان مدمر سنة ١٣٥٨م/٧٦٠هـ فاضطر لنقل مقر حكمه الى مدينة تبريز فاصبح العراق ولاية تابعة الى الحكم الجلائري . كان الانتقال فرصة للطامحين للاستحواذ على السلطة في بغداد فبعد مغادرة السلطان اويس بغداد الى تبريز ترك عليها الخواجة مرجان حاكما عليها فوسوس في قلبه الطمع ليعلن استقلاله عن السلطان الجلائري سنة ١٣٦٣م واعلان ولاءه لسلطان المماليك في مصر وبالتالي اضطر السلطان اويس امام هذا الوضع من تجهيز حملة لاعادة ضبط الاوضاع واثناء ذلك قام خواجه مرجان بكسر السدود للحيلولة دون وصول القوات الجلائرية اليه لكنه فشل في محاولته وفر هاربا الى مصر وبعد مدة من الزمن عاد الى بغداد وطلب العفو من السلطان فعفا عنه وعاد الى منصبه وخلال عودته شعر بالندم وكي يعوض ذلك قام بعدة اعمال عمرانية لازالت شاخصة الى يومنا هذا ومنها جامع ومدرسة مرجان وخان مرجان وخصصه للطلبة والغرباء واوقف عليه الاوقاف .

توفى السلطان اويس سنة ١٣٧٤م/٧٧٦هـ وترك السلطة لابنه حسين ليتولى مقاليد الحكم وهنا بدأ الصراع بين السلطان الجديد واخوته وهم الشيخ علي حاكم بغداد والشيخ احمد حاكم البصرة واستمر هذا الصراع ستة سنوات عانت منه بغداد الويلات انتهى سنة ١٣٨٢م بمقتل السلطان حسين واستيلاء السلطان احمد على السلطة وهروب الشيخ علي من بغداد ثم ملاحقته من قبل اخيه احمد لينتهي الامر بمقتله وتتفرغ الامور الى السلطان احمد لينفرد بالسلطة . لم تكد الامور تهدأ حتى ظهر خطر جديد هدد العالم الاسلامي سنة ١٣٩٣م اذ ظهر تيمورلنك كغازي جديد احتل تبريز ثم تقدم الى بغداد واحتلها ليهرب السلطان احمد الى الموصل ومن هناك الى حلب ولكن تيمورلنك عاد الى بلاده بعد سنتين لمشاكل حدثت هناك

وهنا استغل السلطان احمد الفرصة وبدعم من القبائل العربية في الجزيرة الفراتية وسلطان المماليك ليعود الى بغداد ثانية سنة ١٣٩٧م الا ان تيمولنك لم يترك له الفرصة بل عاد الى بغداد فور سماعه خبر عودة السلطان احمد تحرك عليه من جديد سنة ١٣٩٩م ووصل الى بغداد ١٤٠١م ولم يصمد الجلائريون امام الهجمة التترية الجديدة وفر السلطان احمد هاربا الى صهره قره يوسف حاكم الموصل وديار بكر من قبله ومن هدأت الاوضاع في بغداد حتى قرر تيمورلنك ملاحقة الهاربين من الجلائريين الى ديار بكر فغادرا ديار بكر ولجئو الى السلطان العثماني بايزيد الاول الا ان تيمورلنك لك يتوقف عن مطارتهما واشتبك مع العثمانيين وهزمهم واخذ سلطانهم اسيرا معه . بيد ان السلطان احمد وقرة يوسف هربا الى مصر والتجأ الى السلطان الناصر فرج بن برقوق(١٣٩٨-١٤٠٥م) والذي قام بدوره باعتقالهما وزجهما بالسجن مرضاة وخشية من تيمور لنك ومنتظرا منه البت في مصيرهما الا القدر والصدفة انجتهما هذه المرة اذ توفى السلطان الناصر فرج بن برقوق وتيمور لنك في سنة واحدة ١٤٠٥م فتم اطلاق سراحهما وعادا الى بلادهما ويستبقان البعض للوصول الى تبريز وسرعان مادب الخلاف بينهما لينتهي الى الاقتتال والحرب التي استرت عدة سنوات لينتهي سنة ١٤١٠ م بمقتل السلطان احمد واولاده ويستولي قرة يوسف على السلطة ليؤسس لدولة جديدة وعهد جديد هو حكم القرة قوينلو في تبريز والعراق جزء منها .

الادارة الجلائرية في العراق ١٣٣٩-١٤١٠م :-

تمتد الرقعة الجغرافية للعراق خلال هذه المدة الزمنية من الموصل الى عبادان طولا ومن القادسية الى حلوان عرضا ويقال له العراق العربي وضم العراق خلال هذه الفترة مدن بغداد باجسرا بعقوبة بادريا نعمانية باكسايا حلة كوفة واسط بصرة حويزة نجف كربلاء وهذه المدن وحدات ادارية ويديرها افراد من الاسرة الحاكمة ولم تخضع مدن الفرات الاعلى هيت وحديثة وعانة وكبيسات وشفاثة الى سلطة الجلائريين وانما الى سلطة ال مهنا الطائيين ، ولم تتوفر معلومات عن مساحة تلك الوحدات ولا حدودها الادارية ، اما التشكيلات الادارية الايلخانية فقد اضمحلت وتلاشت تميزت الادارة الجلائرية باستغلال الحكام السلطة لمصالحهم الشخصية وابتزاز الناس ولذلك كثرت الفتن والاضطرابات والحروب وكان هم السلاطين كيفية القضاء على

منافسيهم خلال هذه الحقبة التاريخية لذلك كان الاهمال واضحا على بغداد وغيرها وكان لكل ولاية حاكم خاص يسمى الوالي او الامير وتلحق بها بعض القرى يطلق عليها الاعمال وقد اتبع الجلائريين عدة اساليب للإدارة منها :-

١- الادارة المباشرة وهذه يديرها حاكم (داروغه) يتم تعيينه من قبل السلطان مباشرة وهذا يشمل العراق العربي .

٢- الادارة الغير مباشرة : وهي المناطق التي تدار من قبل اسر بالوراثة ولا دخل للجلائريين في تعيين الحكام، بل تتمتع باستقلال ذاتي وتدار من قبل امراء القبائل ويكتفي الجلائريون بدفع الضرائب من قبل هؤلاء الحكام وضرب النقود باسم السلطان وهذا دليل تبعيتهم له وهذا الامر يتبع قوة السلطان وضعفه ويشمل ديار بكر والعراق العجمي .

لم يخضع اسلوب الادارة الجلائرية لروتين معين بل يتغير حسب الظروف السياسية والاقتصادية والعسكرية وقد تميز هذا الاسلوب بفترتين :-

الاولى :- تمتد منذ قيام الدولة سنة ١٣٣٩م الى١٣٨٦م ٧٣٩هـ-٧٨٨هـ اي الى عودة السلطان احمد اليها وفيها استقرت الادارة على بعض الاسس التي ورثتها عن الايلخان وشاع فيها اسلوب المقاطعة والضمان او المقاطعة والقبالة . والديوان يفوض حكومة الادارة الى الضامن مقابل تأدية مبلغ معين من المال ويقوم الضامن بأستحصال حقوق الديوان من منطقته ويحتفظ بالزيادة لنفسه والغرض من هذا تحصيل الموارد الحكومية.

ثانيا :- تبدأ من ٧٨٨هـ/١٣٨٦م الى نهاية الدولة ١٤١٠م وفيها اضطربت الادارة وفقدت السيطرة على كثير من المدن التي استغلت الفوضى التي احدثها الغزو التيموري للعراق وصار نفوذ السلطان لايتعدى حدود بغداد وفيها منح السلطان ادارة المدن لأبناءه وهذا النوع حول تلك المناطق الى اقطاعيات خاصة ولم تكن شروط التعيين تتجاوز الولاء للسلطان .

التجارة والزراعة والري في عهد الحكم الجلائري :-

تدهورت الاحوال العامة في العهد الجلائري ولم تشهد مشاريع الري تحسنا يذكر ورغم ان حوادث الفيضانات قليلة الا ان تلك السنوات تميزت بالجفاف وقلة مياه الامطار سواءً في العراق ام في البلدان الاسلامية الاخرى ولم تشهد فيضانات سوى في سنوات متفاوتة مثل سنة ١٣٣٨م زادت مياه الفرات وغرقت الزروع وخربت الدور وفي سنة ١٣٥٦م فاضت دجلة فيضانا عظيما غمر الكثير من بيوت بغداد واحياءها وفي سنة ١٣٦٣م فاضت دجلة ايضا وتزامن الفيضان مع تمرد الخواجة مرجان والي بغداد الذي كسر السدود واغرق المدينة لمسافة اربع فراسخ (الفرسخ ٨ كم) .كذلك سنة ١٣٦٧م حدث فيضان مفاجيء في نهر دجلة واخطر الفيضانات حدث سنة ١٣٧٣م عندما فاض دجلة والفرات معا واختلط ماءهما في ظاهرة نادرة وصارت بغداد الرصافة ومشهد الكاظميين وابي حنيفة لا يصل اليها الا بالمراكب وغرقت البيوت وتهدمت على ساكنيها ولجأ الناس الى التلول والمرتفع من الارض ولم يبق من بغداد الا الثلث واستمر الحال ثلاثون يوما حتى قدر الباحثون عدد البيوت التي تهدمت ب(٦٠٠٠٠) بيت وعدد الضحايا من البشر ب (٤٠٠٠٠) ضحية ولم يحصل بعدها فيضان الا سنة ١٣٨٢ م عندما ارتفعت مياه دجلة ليومين ثم انحسرت .

اما الاراضي فيبدو ان الجلائريين استمرو على نفس النظام الايلخاني في ملكية الارض الذي يقوم على امتلاك السلطان والامراء والحاشية لأراضي واسعة واملاكا خاصة وكان والي بغداد الخواجة مرجان اكبر مالك للاراضي امتدت في الجتنبين الشرقي والغربي لبغداد ومختلف انحاء العراق .اما الاراضي التابعة للديوان فقد ازدادت ملكيتها في هذا العهد واصبحت الاراضي التي ليس لها وارث والتي توفى عنها اصحابها تعود الى بيت المال ويقول القزويني في اثار البلاد (ان جميع ديار العراق العربي المزروعة بالبساتين تدفع الخراج المعين وهذه الولاية مقررة للديوان) ويقصد به ديوان البايرات اي التي ليس لها احد والمختص في النظر الى الاراضي الموات واعمارها وزراعتها ولايعني هذا ان لاوجود للملكية الخاصة . واسهب المؤرخون في اراضي الاوقاف التي لم يتجاسر عليها احد لا في عهد هولاكو ولابعده بل زادها الجلائريون واعيان بغداد ورجال الدين في تخصيص اراضي على جهات البر والاحسان ووقفها على المؤسسات الدينية الخيرية والمدارس ودور الشفاء ويبدوا من ذلك ايهام الناس وصرف

انظارهم عن اعمال السلطة ونوايا الحكام الحقيقية والتجارة بالدين هي الرابحة دوما في استغفال الفقراء . وبرز هنا الخواجة مرجان الذي اوقف اراضي واسعة وجميع املاكه في بغداد والعراق على المدرسة ودار الشفاء التي اسسها في بغداد (خان مرجان حاليا) وكذلك خصص اوقافا في عين التمر والرحالية وكربلاء للروضة الحسينية والجامع في مدينة كربلاء وكذلك الخواجة مسعود بن سديد الدولة خصص اوقافا في بغداد على المدرسة التي شيدها . كذلك تيمورلنك خصص اوقافا في النجف والحلة الى روضة امير المؤمنين (عليه السلام) وايضا اوقافا للنبي يونس (عليه السلام) في الموصل وعبدالقادر الكيلاني في بغداد وكانت الشروط الوقفية تسجل كي يتصرف بها المتولي الشرعي للوقف للإنفاق على المدارس ودور الشفاء . ومن هذا يتضح ان احوال العراق في العهد الجلائري لم تكن افضل من احواله في العهد الايلخاني ومن حق المؤرخين وصف تلك الفترة بالفترة المظلمة .

المصادر :-

١- أبـرار كـريم الله، مـن هـم التتـار ، ترجمـة رشـيدة رحـيم الصـيروتي ، القـاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،١٩٩٤.

٢- أحمـد عبـد الكـريم سـليمان ، المغـول والمماليـك حتـى نهايـة عصـر الظـاهر بيبرس(١٢٥٠- ١٢٧٧م) القاهرة ،دار النهضة العربية ، ١٩٨٠م .

٣- اكـرام محمد علـي خلـف ، أثـر المـؤامرات فـي سـقوط الدولـة العباسـية سـنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م ، دراسـة تأريخيـة ، مجلـة ديـالى للبحـوث الانسـانية ، العـدد ٤٩ لسنة ٢٠١١.

٤- اينـاس سـعدي عبـدالله ، تـاريخ العـراق الحـديث (١٢٥٨-١٩١٨م) الطبعـة الاولى، دار ومكتبة عدنان للنشر والتوزيع ، ٢٠١٤.

٥- حامـد زيـان غـانم ، صـفحة مـن تـأريخ الخلافـة العباسـية فـي ظـل دولـة المماليـك ، القاهرة ، دار الثقافة للطباعة والنشر ،١٩٧٨م .

٦- صـبحي عبـد المـنعم محمد ،سياسـة المغـول الايلخـانيين تجـاه دولـة المماليـك فـي مصر والشام ، القاهرة ، العربي للنشر والتوزيع ،٢٠٠١ .

٧- عـادل اسـماعيل محمد هـلال ، العلاقـات بـين المغـول واوربـا واثرهـا علـى العـالم الاسـلامي ، القـاهرة ، عـين للدراسـات والبحـوث الانسـانية والاجتماعيـة ،١٩٩٧.

٨- عمـاد عبـد السـلام رؤوف، الجـيش – القـوى والمؤسسـات العسـكرية ، بحـث ضـمن موسـوعة حضـارة البعـراق ، بغـداد ، دار الحريـة للطباعـة ،١٩٨٥، الجـزء العاشر.

٩- فـؤاد عبـد المعطـي الصـياد، المغـول فـي التـاريخ ، بيـروت ، دار النهضـة العربيـة ،١٩٨٠، الجزء الاول .